

نظرة في البحث الموسوم  
بـ "سمات العطاء الأدبي والفكري في القرن الثامن الهجري"  
عبد الرازق حويزي

يُعدُّ تراثنا العربيُّ أحدَ الأسسِ التي يلزمُ الالتفاتُ إليها، ووضعُها في الاعتبارِ ونحن نشيّدُ صرْحَ حضارتنا في العَصْرِ الحديثِ، ففي هذا التراثِ فكرٌ أجدادنا، ونبضُ مشاعرهم، ورصدٌ لأحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، فهو يمثلُ عصارَةَ ما وصلَ إليه السلفُ الصالحُ في شئى الأمور، وبه انطلقوا إلى إعلاءِ صرْحِ الحضارةِ الإنسانية، مما حدا بالمستشرقين إلى الالتفاتِ إليه؛ ومن ثم أدركوا قيمتهِ الإنسانية، خصوصاً في العلوم التطبيقية.

ومن هذه القيمةِ الكبيرةِ انطلقَ رهطٌ من هؤلاء المستشرقين إلى العنايةِ بهذا التراثِ، وتمثلتْ هذه العنايةُ في اقتناءِ مخطوطاته في مكباتهم العامة، والقيامِ بدراسةٍ وتحقيقِ بعضها، وعلى أثرهم انطلقَ الباحثون العربُ في انتهاجِ المنهجِ السديدِ في العنايةِ بتحقيقِ التراثِ العربيّ، فوضع بعضهم بحثاً في رسمِ منهجِ لتحقيقِ المخطوطاتِ، منهم على سبيلِ المثالِ والاستدلالِ لا على سبيلِ الحصرِ: العلامة "صلاح الدين المنجد"، والمحقق "عبد السلام هارون"، والدكتور "رمضان عبد التواب"، وغيرهم من شوامخِ المحققين.

وقد تمخضتِ السطورُ التالية عما ورد في البحثِ المنشور في العدد (٦٣) من هذه المجلة تحت عنوان: "سمات العطاء الأدبي والفكري في القرن الثامن الهجري" للأستاذ "هلال ناجي"، الذي أتى فيه على ذكرِ كتابين من تحقيقه، وهما كتاب "حدائق الأنوار وبدائع الأشعار لجنيد بن محمود"، المنشور في بيروت عام ١٩٩٤م، وكتاب "الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المنشور في بريطانيا عام ١٩٩٩م، وشاركه في تحقيقه الأستاذ "وليد بن أحمد" - على ما ورد على صفحة غلافه - وقد قال الأستاذ "هلال ناجي" عن تجربته في

تحقيق الكتاب الأول ص ١٩٨: "وقد أسعدني الحظ بتحقيق هذا الكتاب ونشره في بيروت سنة ١٩٩٥، بعد معاناة استمرت عشرين عاماً معتمداً نسخة مخطوطة فريدة في الدنيا"، وقال عن تجربته في تحقيق الكتاب الثاني ص ٤٧: "لقد استمرَّ العملُ في هذا الكتابِ نحو عُقدَيْنِ من السنينِ وفي فتراتٍ مُتقطَّعةٍ".

وأود أن أقف عند قوله: "عشرين عاماً"، وقوله: "عقدَيْنِ من السنينِ وفي فتراتٍ متقطَّعةٍ"، إذ ربما تسري في نفس المرء خاطرة حول أثر تحقيق المخطوطة على فترات زمنية متقطعة من خلال ما نال هذين الكتّابين من أغلاط تحقيقية من آثار توزيع التحقيق على هذه الفترات.

إذن فالحديثُ هنا سينصبُّ على خطورةِ تحقيقِ المخطوطة على فتراتٍ متقطَّعة، وأزمان متباعدة، قد ينشغل فيها المحقق بأعمالٍ أخرى، وسيقتصر الحديث هنا على جانبٍ واحدٍ من الجوانبِ ذاتِ المخاطرِ والمزالقِ المتمخِّضة عن هذا الأمرِ، إذ لهذا التَّراخيِ مزالق كثيرة، ترجعُ في أساسها إلى أن المحقق بانصرافه عن تحقيقِ المخطوطةِ إلى أشغالٍ أخرى يَنسى - وهذا أمرٌ واردٌ على ما جبلت عليه الطبيعة الإنسانية من النسيان- ما قاله وما فعله في بدايةِ التَّحقيقِ، فيثبتُ آراءَ بعد ذلك ربَّما تتعارضُ مع ما سبق أن قاله وما قيَّده، هذه واحدةٌ، وأما الثانيةُ فتكمنُ في تَدَبُّبِ المنهجِ الذي اتَّبَعَه في بدايةِ العملِ ومجافاته له بعد عَوْدَتِهِ إليه مرةً ثانية في تحقيقِ المخطوطةِ نفسها بعد الانصرافِ عنها حيناً من الدَّهرِ، فهذا التوزيع جعل محقق هذين الكتّابين يتصرَّف مع كل جُزئيةٍ من جزئياتِ المخطوطتين في التحقيقِ وكأنَّها تُمثِّلُ نصًّا قائماً برأسه، لا علاقةٌ لها بباقي الجُزئياتِ الأخرى السَّابِقةِ عليها، واللاحقةِ لها في كل مخطوطة، فالمهمُّ إقامةُ النَّصِّ لُغويًّا وعَرُوضيًّا، إما عن طريقِ الاجتهادِ، وإما عن طريقِ الاستنادِ إلى المصادرِ الأخرى.

إن هذا التراخي المتمثل في ترك العمل ردحاً من الدهر ثم العودة إليه من شأنه أن يجعل التحقيق العلمي غير مترابط الأوصال، وما ذلك إلا لأن المحقق لا يتمكّن من السيطرة على مادة الكتاب المحقق ليُرَبِّطَ أوله بأوسطه وبآخره، ولا يتمكن كذلك من ربط المقدمات بالنتائج بدرجة كافية، ومن ثم يصعب عليه إماطة اللثام عن أوهام المؤلف، ليقف عليها القارئ والدارس.

أما الأمر الوحيد الذي سَأَفُفُ أمامه في تحقيق هذين الكتابين فيتمثل في وقوع تَكَرَّرِ النصوص وغيرها، هذه النصوص كانت سَتَأْهَلُ في التحقيق الإلماح إلى تكرارها حتّى يكون القارئ على بيّنة من أمره، فيَتَدَبَّرُ السَّرَّ في هذا التكرار، وأبعاد أهميته من عَدَمِهَا في التصنيف، ومن ثم يُدْرِكُ ضَعْفَ التّأْلِيفِ من عَدَمِهِ، وبالطبع إذا تَسَاءَلْنَا عن السَّرِّ في غياب الإشارة إلى هذه التكرارات المتعددة في تحقيق هذين الكتابين فسجد الإجابة كامنة في توزيع المحقق عمله فيهما على فترات زمنية متباعدة، الأمر الذي أدّى إلى تَصَرُّفِهِ مع كُلِّ مَقْطَعَةٍ شعريّة - كما قلت - في كُلِّ كتابٍ على أنّها نصٌّ مُسْتَقِلٌّ بنفسه، دون محاولة رَبْطِهِ بالمادّة الكليّة للكتاب ذاتِهِ، وكان ليس ثمة علاقة بينه وبين باقي الكتاب الذي ضمّه بين دفتيه.

وليس السكوت عن الإفصاح عن وقوع تكرار المقطعات الشعريّة في الكتابين إنّما كان تحت إدراك من المحقق له، وعدم اقتناعه بعدم أهميّة التنبيه عليه، إذ لو كان الأمر كذلك لما جاءت بعض النصوص المُكْرَّرَة في كُلِّ كتابٍ من الكتابين مُخْتَلَفَةً في القراءة والتّحقيق في المرّة الثانية عنها في المرّة الأولى، ولما جاءت تخرجات بعض هذه النصوص في كُلِّ كتابٍ مُخْتَلَفَةً عند تكرارها في المرّة الثانية في الكتاب عينه عن ذكرها في المرّة الأولى، وللكشف عن هذه التكرارات يبدأ كاتب هذه السطور.

أولاً: بكتاب "الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه":

قضية تكرار النصوص في هذا الكتاب شائكة، فقد وقفتُ أثناء تصفيحي له على عدد من المقطعات الشعرية المكررة دون إشارة المحقق إلى تكرارها، أو أخذ موقف حيالها، ولا ريب أن هذا التكرار كان يفتقر في التحقيق إلى أخذ موقف تجاهه؛ لأنه ورد في الكتاب بصورة تسترعي الانتباه، ولا تُكزّر الإشارة إلى التكرار في موضع واحد في هامش ص ٨٢، ففي هذه الصفحة شعرٌ تمّ تكراره مرتين أخريين في ص ١٣٧، وفي ص ٢٣٤، وأشير إلى هذا، بيد أنه لا توجد إشارات إلى كثير من مواضع تكرار النصوص في هذا الكتاب، ومن المؤكد أنه لو لم يُترخ في التحقيق، أو لم يورّع على فترات زمنية متقطعة، ولو فُحصت نصوص الكتاب بعد الانتهاء من تحقيقه لأمكن اكتشاف هذا التكرار، ومن ثم الإفصاح عنه وعن صفحاته في مقدمة التحقيق أو في هوامشه، وقد تجاوز الأمر تكرار النصوص إلى الاختلاف في قراءة بعضها عند تكرارها، وكذا الاختلاف في تخريجها في الموضعين بصورة تختلف في كل موضع عنه في الموضع الآخر، وحتى لا أطيل أثبت هنا بعض الأمثلة، منها نثقة شعرية منسوبة للقاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزي ت ٦٨٣هـ، ذكرها "الصفدي" في ص ٨٧، ثم عاد وكرّرها في ص ٣٦٠، وردت هذه النثقة محققة في المرّة الأولى ص ٨٧ هكذا:

يُفَطِّعُ بِالسَّكِينِ بِطِيخَةَ ضُحَى      عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسِ ( ) صَاحِبُهُ  
كشمسٍ يبرقُ قد شمسًا أهلةً      لذي هالةٍ في الأفقِ ( ) كواكبُهُ

كذا وردت هذه النثقة في هذا الموضع دون تخريج، وعُلّق في هامش التحقيق على ما بين الأقواس بأنها كلماتٌ غيرُ مقرّوءة، ثم عاد "الصفدي" وكرّر النثقة عينها بالنسبة ذاتها في ص ٣٦٠، ووردت في التحقيق هكذا:

يُقَطَّعُ بِالسَّكِينِ بِطَيْخَةٍ ضُحَىً      عَلَى طَبَقٍ فِي مَجْلِسٍ لَانَ صَاحِبُهُ  
كشمسٍ بَرَقَ قَدْ بَدَرًا أَهْلَةً      لَدَى هَالَةٍ فِي الْأَفْقِ شَتَّى كَوَاكِبُهُ

كذا وردتِ النتفة هنا تامةً وواضحةً دون وجود كلماتٍ غيرٍ مقروءةٍ! وعُلِّقَ عليها بالاستناد إلى كتاب نهاية الأربٍ بالتحريح التالي: "له في نهاية الأرب ١١/٣٥ في الأصل بين كواكبه. والتصويب عن نهاية الأرب".

لا شك في أن الاختلاف واضح في القراءة في كُلِّ مَرَّةٍ، وهو واضحٌ كذلك في التعليق والتحريح في الموضوعين مع أن المادة العلمية واحدة، وواردة في كتاب واحد لمؤلف واحد، ولا شك كذلك أن ترك عدم الإفادة من وضوح النص المكرر في إصلاح غموضه عند تكراره أمر واضح.

لقد كان من الممكن الاستفادة من الجهد المبذول في التحريح، أو وضوح النص في المخطوطة نفسها في المَرَّةِ الثانيةِ عند إثباته في المَرَّةِ الأولى لِسَدِّ ثلماته، كان من الممكن ذلك لو جُعِلَ التَّحْقِيقُ مُتَّصِلًا، وليس على فتراتٍ زمنيةٍ مُتَقَطَّعةٍ، أو حتَّى -على الأقل- لو أخضع الكتابُ بعد تحقيقه وقبل نشره للمراجعةِ الدقيقةِ والقراءةِ الفاحصةِ المتتابعةِ الشاملةِ لكلِ نصوصه.

ومن أمثلة وقوع التكرار مع الاختلاف في القراءة أيضًا في كُلِّ مَوْضِعٍ دون إشارةٍ إلى ما وَرَدَ في ص ٢٧٤، حيث أوردَ "الصفدي" مُقَطَّعةً شعريَّةً في ثلاثة أبياتٍ ناسبًا إياها لنفسه، منها الأبياتُ التاليةُ:

ولربَّ روضٍ بُردُهُ من سندسٍ      بطرازٍ ماءٍ غديره مفروزٍ  
يُسقى النديمُ به الكُميتُ على      بساطٍ أخضرٍ بالزهر مثل اللوزِ  
والنَّبْتُ يرقصُ في مُصَبَّغِهِ فَاِنْ      تنظره لم تحفلِ بنقشِ التُّوزِ

وكرر "الصفدي" هذه الأبيات ضمن مقطعة في خمسة أبيات في ص ٤١٣، ولم يشر في التحقيق إلى هذا التكرار، زد على ذلك أنها وردت هكذا:

وَلَرُبَّ رَوْضٍ بُرْدُهُ مِنْ سُنْدُسٍ      بطراز ماء غديره مفروز  
يُسْقَى النَّدِيمُ بِهِ الْكَمِيتَ عَلَى بَسَا      ط أخضر بالزهر مثل البوز  
وَالنَّبْتُ يَرْقُصُ فِي مُصَبَّغِهِ فَإِنْ      تنظره لم تحف بنقش التوز

لا شك أن الاختلاف في القراءة والرسم في الموضعين واضح.

ومن الأمثلة على وقوع التكرار في مادة الكتاب وعدم الإشارة إليه مع الاختلاف في التعليق ما ورد في ص ٣٦٣ منسوباً إلى "ابن وكيع التيسري" ت ٣٩٣هـ، وهو:

أما ترى النَّخْلَ حُمِلَتْ بَلْحًا      جاء بشيراً بدولة الرطب  
مخازنٌ من زبرجدٍ خرطت      مقمعات العروس بالذهب

كذا ورد البيتان في هذه الصفحة بهذه الرواية، وتم التعليق عليهما في الهامش بما يلي: "ديوان ابن وكيع ٤٦. رواية صدر الأول: أطلعت بلحاً. رواية الثاني: مكاحل من زبرجد".

على حين يجد القارئ البيتين مكررين بلا نسبة في ص ٣٦٢ - الصفحة السابقة على هذه الصفحة - بالرواية التالية:

أما ترى النَّخْلَ نُنَّتْ بَلْحًا      جاء بشيراً بدولة الرطب  
مكاحلٌ من زبرجدٍ خرطت      مقمعات العروس بالذهب

وتم تخريجهما على ديوان "ابن وكيع" دون تثبيت لرواية البيت الأول، أو إشارة إلى تكرار النتفة.

وهذا رصد لبعض المقطعات والنتف الشعرية التي كُررت في كتاب "الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه" دون وجود موقف ولو بالإشارة في هوامش التحقيق:

م	القافية	صفحات التكرار		الشاعر	ملاحظات
١	عنبر	٦١	١٨٦	ابن المعتز	
٢	كاليه	٦١	٣٢٦	" "	مع اختلاف التعليق
٣	مثقوب	٦٥	١٥٦	ابن طباطبا	
٤	بالعيد	٦٦	١٨٦	ابن المعتز	
٥	الرقيب	٦٦	١٥٦	ابن طباطبا	
٦	تبر	٧٣	١٩٨	الشريف العقيلي	مع اختلاف تثبيت الرواية
٧	نرجس	٧٣	١٥٨	ابن الحجاج	مع اختلاف التخريج
٨	مرهفا	٨٠	٢٤٣	ابن قلاقس	مع الاختلاف في تثبيت الرواية
٩	كالعنقود	٨٢	١٧٤	ابن المعتز	
١٠	التذهيب	٨٣	١٨٩	ابن طباطبا	مع اختلاف في القراءة والتعليق
١١	صاحبه	٨٧	٣٦٠	ابن البارزي	مع الاختلاف في القراءة والتعليق
١٢	المفرق	١٦٥	٢٠٢، ١٩١	ابن ظافر	كررت ٣ مرات باختلاف التخريج
١٣	بنفسج	١٦٥	١٧١	أبوبكر الخالدي	
١٤	الصريح	١٧٣	٢١٠	الشوا	
١٥	متنفس	١٧٣	٢٠٦	الصفدي	
١٦	الظفر	١٨٧	٢٠٨	ابن المعتز	
١٧	أشمط	٢٢٨	٢٧٠	ابن الساعاتي	مع اختلاف التخريج
١٨	والمفارق	٢٣٢	٣٠٠	الشريف العقيلي	مع الاختلاف في تثبيت الرواية
١٩	الورق	٢٣٩	٤١٠	الشريف العقيلي	
٢٠	أذناها	٢٥٩	٣٣٠	السنوبري	
٢١	راض	٢٦٥	٣٠٤	بلا نسبة	مع الاختلاف في التخريج
٢٢	الخرد	٢٦٨	٣٣٦	ابن الساعاتي	
٢٣	مفروز	٢٧٤	٤١٣	الصفدي	مضى الحديث عنها
٢٤	قيد (ميد)	٢٩٥	٣٥٣	ابن وكيع	مع اختلاف التحقيق
٢٥	الرتب	٣٦٢	٣٦٣	ابن وكيع	مضى الحديث عنها
٢٦	أنيق	٣٧٠	٣٧٢	ابن رافع	

وهناك بعضُ الأبياتِ يقفُ القارئُ على صُدورها مكررةً أيضاً دونَ إشارةٍ إلى تَكرارها، كما ورد في ص ١٦٠، ففيها صَدُرَ بيتٌ تَمَّ تَكرارُه في ص ١٧٦، و ص ١٧٨.

وما دام كاتب هذه السطور بصَدَدِ الإشارةِ إلى التَكرارِ الحَادِثِ في هذا الكتاب فيجدرُ به أن يُفصِحَ عن تَكرارِ صَفحتينِ دُونَ دَاعٍ، هما ١٤٧، ٣٢٩ كُررَتَا في ص ١٤٨، ٣٣٩.

إن توزيعَ تحقيقِ المخطوطةِ على فَنَرَاتٍ زمنيةٍ متقطعة - كما فعل الأستاذ "هلال ناجي" - لا يُؤدِّي - فقط - إلى عَدَمِ اكتشافِ ما تَمَّ تَكرارُه فيها من نصوص - كما رأينا - وإنما يؤدي إلى شيءٍ أخطر من هذا، ألا وهو تَنذِبُ مَنهجِ التحقيقِ، ووقوعُ المحقِّقِ نَفسِه - وليس المؤلف - في تَكرارِ ما سَبِقَ أن ذَكَره في صدرِ تحقيقِه، وتحقيقِ كتاب "الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه" خيرُ مثالٍ على هذا، فعندما ينظرُ القارئُ في هوامشه نظرةً عابرةً يقفُ فيها على العَدِيدِ من التَراجِمِ لبعضِ الأعلام، وما إن يَصِلُ في تَصَفُّحِه لهذا الكتابِ إلى نهايته حتى يصادفه في إكمالِ التحقيقِ ذيلٌ مستقلٌّ لتَراجِمِ معظمِ الأعلامِ المذكورةِ في المخطوطة، وعندما يبادرُ القارئُ إلى مطابَقةِ التَراجِمِ الواردةِ في هوامشِ تحقيقِ الكتابِ على ما وردَ في هذا الذيلِ من تَراجِمٍ يَجِدُ كثيراً من التَراجِمِ تَمَّ تَكرارُها في الذيلِ مرَّةً ثانيةً، ولكن بشيءٍ من الإطنابِ والحشوِّ مِمَّا جعلَ هذه التَراجِمَ خارجةً عما استقرَّ عليه الأمرُ في منهجِ تحقيقِ التراثِ، وعما يذهب إليه الأستاذ "هلال ناجي" في تمسكه بضرورةِ الإيجازِ في الترجمةِ للأعلامِ في التحقيقِ العلمي، فقد وَرَدَتْ في كتاب "الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه" ترجمةٌ لـ "علي بن الجهم ت ٢٤٩هـ"، وهو من شعراءِ العصرِ العباسي المشهورين، احتلت ما يقرب من صَفحتينِ ص ٤٦١ - ٤٦٢، وكذلك وَرَدَتْ في ص ٤٣٩ ترجمةٌ موسعةٌ للصاحبِ بن عبادِ ت ٣٨٥هـ، وهو أشهرُ من أن يُستطردَ في ترجمته، أما ترجمةُ الأستاذ "هلال ناجي" للعالمِ الموسوعيِّ

"أبي عثمان الجاحظ" - وهو أشهر من نارٍ على علم - فقد استغرقت ما يقرب من صفتين أيضاً ص ٤٧١ - ٤٧٣، وجاءت على هذا النحو من الإسهاب: "الجاحظ: (١٦٣ - ٢٥٥هـ) أبو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ، مُعْتزلي شيخُ الأديباء والمصنفين في زمنه، وُلِدَ في البصرة، وماتَ فيها، قتلته أسفارٌ ضخمةٌ (كذا والصواب ضخمة) تساقطت عليه، ضاع الكثير من آثاره، ووصلنا منها غيرُ قليلٍ، وقد نَهَدَ عبد السلام محمد هارون -رحمه الله- إلى نشرِ عَدَدٍ منها، حققه مدققه (كذا ولعل الصواب محققة مدققة) من بينها: الحيوان، والبيان والتبيين، ورسائل الجاحظ في أربعة أجزاء، والبرصان والعرجان والعميان والحولان.

ونشر صديقنا د . طه الحاجري - رحمه الله - كتابه "البخلاء"، ومجموعةً من رسائله، ونشرَ صديقنا العلامة حسن حسني عبد الوهاب - رحمه الله- كتابه "التبصرة بالتجارة"، ونشرَ يوشع فنكل ثلاثاً من رسائله هي: في الردِّ على النَّصارى وفي ذمِّ أخلاقِ الكُتَّابِ - كتاب الدواوين- وفي القيان، ونشر حسن السَّنْدوبي عدداً من رسائله. وقد استطاعَ جليل إبراهيم في مقدمة نشرته لكتاب الحنين إلى الأوطان أن ينفى بالدليل القاطع نسبته إلى الجاحظ، وأن يردّه إلى مؤلفه الحقيقي محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي، وكان عبد السلام هارون قد نشره ضمن رسائل الجاحظ، كما نشر رسالة العثمانية، وكذلك كتابه (التَّاج)، وأسهم داود الجليبي -رحمه الله- في نشرِ بعضِ رسائله في مجلة (لغة العرب)، ومن الكتب التي نسبتُ إليه ولم ينشرْ حتى اليوم نشره علميةً كتابُ "المحاسن والأضداد"، طُبِعَ طبعات تجارية. وذكر خير الدين الزركلي - رحمه الله- في الأعلام ٢٣٩/٥، مخطوطة للجاحظ، عنوانها "تنبيه الملوك"، قال: إنها في ٤٤٠ ورقة، ولم يذكر مظنة وجودها. ونشر صديقنا إبراهيم السامرائي رسالة الجاحظ في مدح الكتب والحث على جمعها في مجلة

المجمع العلمي العراقي، وكان أبو حيان قد صنّف كتابًا عنوائه: (تقريظ الجاحظ)، وهو مفقود، ولعدّد كبير من معاصرنا كتب عن الجاحظ، ذكر بعضهم الزركلي، وأضيف الكتب التالية: كتاب لطف الحاجري، وآخر لمحمد عبد المنعم خفاجة، والثالث لنوري جعفر. وجمع شعر الجاحظ، ونشره د. محمد جبار المعبيد.

ترجمته في: إرشاد الأريب ٥٦/٦ - ٨٠، وتاريخ بغداد ٢١٢/١٢، وأمراء البيان ٣١١ - ٤٨٧، والأعلام ٢٣٩/٥ - ٢٤٠" أ. هـ.

وهكذا ضمت الترجمة مؤلفات الجاحظ، وأعمال أصدقاء المحقق في هذه المؤلفات، وما كتبه بعض القدماء والمعاصرين من مؤلفات حول الجاحظ وأدبه، واستدراك المحقق على حصر بعض المعاصرين لمؤلفاته مما أدى إلى الإطناب فيها مخالفاً قواعد تحقيق التراث، وهذا الأمر ملموس أيضاً في ما خصه الأستاذ "هلال ناجي" لتراجم الأعلام في نهاية تحقيقه لكتاب حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، ففي تراجمه إطناب ظاهر، وهذا أمر مؤكد، لأن العديد من تراجمه للأعلام في كتاب الكشف والتنبيه مكررة في حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، وهذا الإطناب جعل عمله في هذه التراجم مجاناً لقواعد تحقيق التراث المجمع عليها من شيوخ المحققين<sup>(١)</sup>، هذا فضلاً عن ترجمته للمشاهير في تحقيقه لكتاب حدائق الأنوار وبدائع الأشعار، مثل: ابن الجوزي ص ٤٠٣، والزمخشري ص ٤٢٥ - ٤٢٦، والقاضي التنوخي ص ٤١٥، وهؤلاء أعلام مشهورون لا يفتقرون لتراجم، وقد تناولت تراجم المحقق للأعلام في تحقيقه لهذا الكتاب في موضع آخر بشيء من التفصيل.

---

(١) ينظر تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ١٠٧ للصادق عبد الرحمن الغرياني،

منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٩م.

وأعودُ إلى ما كنت بصدد الحديث عنه لأرصدَ بعضَ ما وقفتُ عليه من التراجم المكررة في تحقيقِ كتاب "الكشف والتبويه على الوصف والتشبيه"، وهي تفصح -دون شك- عن تذبذبِ منهج التحقيق، من هذه التراجم:

م	العَلَمُ المترجم له	تكرارُ التَّرْجَمَةِ في	
		هامش الصفحة	ذيل الكتاب
١	ابن أبي عون	٥٢	٤٣٤
٢	الحاتمي	٥٢	٤٧٧
٣	الثعالبي	٥٢	٤٥٩
٤	الوطواط الكتبي	٥٣	٤٧٥
٥	ابن نفاذة	٦٧	٤٣٥
٦	ابن البواب	٦٧	٤٧٠
٧	العتبي	٦٨	٤٨٠
٨	ابن سعيد المغربي	٦٩	٤٦٩
٩	المطوعي	٨١	٤٧١
١٠	ابن قاضي ميعة	٨٤	٤٥٧
١١	القاضي علي الجرجاني	٨٥	٤٦٥
١٢	بدر الدين بن النحوية	١١٧	٤٨٦
١٣	المنازي	١٢٩	٤٣٧
١٤	الشهاب محمود	١٧٠	٤٨٧
١٥	ابن الطراوة	٣٠١	٤٤٩

فهذا التكرارُ الحاصلُ في تراجم هذه الأعلام ليس من عملِ المؤلف، بل هو من صميم التحقيق، ولا أرى سبباً في وقوع تكرار هذه التراجم سوى توزيع تحقيق المخطوطة على فتراتٍ زمنية متقطعة، وهو أمرٌ كفيلاً بأن يُنسي المرء ما نهض بتنفيذه في بداية عمله، أضف إلى ذلك ما تمثل في إفضاء هذا الأمر إلى تذبذب منهج التحقيق في عمل المحقق، الذي اتضح من خلال تكرار هذه التراجم.

ثانياً: كتاب "حدايق الأنوار وبدائع الأشعار":

أما بالنسبة لإهمال الإشارة إلى تكرار النصوص في كتاب "حدايق الأنوار في بدائع الأشعار" فهو أمر ظاهر، وقد اكتشف المحقق بعضه كما في ص ٤٩، ٢٧٩، وفاته أكثره، فمما فاته المقطعات والنتف ذوات الأرقام التالية:

رقم المقطعة	رقم تكرارها
١٠	٢٢١
٢٦	١١١
١٦٧	١٩٠ منها شطر مكرر
٣٢٣	٥١٧
٤٣١	٧٠١
٥٧٦	٥٧٩ منها شطر مكرر

ومن هذه المقطعات ما هو مكرر مع الاختلاف في القراءة والتخريج والعزو وتثبيت الروايات على الرغم من وقوع التكرار في كتاب واحد، وإتمام التحقيق على يد محقق واحد، غير أن توزيع المحقق عمله على فترات زمنية على مدار عشرين عامًا أظهرها وكأنها محققة على يد أكثر من محقق! وإن كان لا بد من دليل على تكرار بعض المقطعات والنتف الشعرية ذات الاختلاف في التخريج، والعزو، والقراءة وتثبيت الروايات فأحيل القارئ الكريم على تحقيق النتفة رقم (٤٣١) الواردة في ص ٢٣٤، والمكررة دون إشارة برقم (٧٠١) في ص ٣٤٤، وقد تناولت في بحث آخر هذه النتفة من أوجه عدة مبيِّناً ما اشتملت عليه من أغلاط علمية، وأوضحت هناك أيضاً أثر كسر المحقق عمله على فترات متقطعة في عدم تمكنه من ربط المادة العلمية في الكتاب ببعضها، وضربت أمثلة بالمقطعات والنتف الواردة في الكتاب تحت الأرقام: (١١٢)، (١٩٨)، (٢٣٠)، ومن ثم لم أجد لدي رغبة في إعادة ما قلته هناك مكتفياً بالإشارة إليه هنا.

إن وقوع التكرار في هذين الكتابين، وعدم إدراك المحقق له، وتركه للإفادة من تكراره في كل كتاب يعد خروجاً صريحاً على قواعد تحقيق التراث<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر منهج تحقيق المخطوطات ٥٦ إياد خالد الطباع، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٤هـ،

ومن هنا بات الأمر واضحاً أن من لوازم التحقيق العلمي للمخطوطات لزوم تحقيق المخطوطة دون تراخٍ في فترة زمنية متصلة قصيرة كانت أو طويلة، لا على فترات زمنية متقطعة حتى يكون المحقق مُسيطرًا على مادة المخطوطة، مستوعبًا لمحتواها، وعلى إدراك تام بما سبق أن حققه في بدايتها من نصوص ليشير إلى التكرار الوارد بعد ذلك، إذ ربما يكون في تحقيقه لهذا التكرار ما يتناقض في مضمونه مع ما سبق أن ذهب إليه من قبل، وإذا تعدد أمر تحقيق المخطوطة جملة واحدة ودون تراخٍ لأمر أو لآخر، فينبغي قراءتها ومراجعتها جملة واحدة بعد الانتهاء من التحقيق لاكتشاف هذا الأمر أو غيره مما ينبغي عدم فواته على المحقق.

وليست إشارة المحقق إلى التكرار - كما ذكرت آنفًا - الحاصل في نصوص المخطوطة من باب الفضول، إذ يُحتمل أن مؤلفها قصد هذا التكرار لجودة الأنموذج المكرر أو لرداءته، أو لمعزى نقدي، أو لاشتماله على أكثر من معنى يخدم التأليف، أو لقلّة المادة العلمية لديه في جانب من الجوانب، أو لحبه لذكر صاحب الأنموذج المكرر، أو لسهوه في التأليف.

إن كشف المحقق عن التكرار الواقع من المؤلف أمرٌ يخدم النصّ والقارئ والباحث والمحقق نفسه، فلا يرهق نفسه أولاً في قراءة المادة العلمية الواحدة مرتين، وقد يقرؤها في مرة قراءةً مختلفة عن المرة الأخرى - كما مرّ بنا في صنيع الأستاذ هلال ناجي - وحتى لا يثبت لها تخريباً وعزواً مختلفين في كل مرة عن المرة الأخرى، فتبدو وكأنّها محققة على يد شخصين مختلفين، وقد مضت أمثلة على هذا.

أظن أنه قد اتضح ما سعت هذه السطور إلى الحث عليه، والذي يتمثل في ضرورة البعد عن توزيع العمل في تحقيق المخطوطة على سنوات متباعدة، وفترات متقطعة، والانصراف عن تحقيق المخطوطة لإنجاز مؤلفات بجوار تحقيقها، ولكن

إن أبى المحقق إلا تشتتت جهده وذهنه، وتوزع تحقيق المخطوطة على فترات زمنية متقطعة فأظن أنه يلزمه معاودة النظر المرّة تلو المرّة في تحقيقه للمخطوطة بعد إنجاز تحقيقها لحذف تكراراته، وأقواله التي يعارض بعضها بعضاً، والإشارة إلى التكرار الحاصل في المخطوطة، وتوحيد مصادره، ومنهجه في التحقيق، وتوحيد - كذلك - تخريجاته وهوامشه ونسبة النصوص إلى أصحابها في ما تكرر من نصوص الكتاب، وربط النتائج في مقدمته للمخطوطة بما يتسق ومحتواها، إنه لو فعل ذلك لظهر تحقيقه مُنقَّحاً، خالياً من الزوائد والمتناقضات التي لا طائل تحتها، وسيُعطي ثماره - بعد ذلك - يانعةً.

وإذا كانت السطور السابقة تحثُّ على ترك التراخي، وضرورة التفرُّغ للعمل في تحقيق المخطوطة في وقتٍ مُتَّصلٍ دون أن تتخلَّلَ العمل في التحقيق مشاريع علمية أخرى، فليس معنى ذلك أنها تُحبِّد من جانب آخر التسرع والعجلة في إنجاز التحقيق، فمعروفٌ أن العجلة أمُّ الندامة. هذا وباللّه التوفيق.